

أعرفنا الآن؟!

د. خالد بن ناجي^١

كي تعرف أكثر وتفتح عينيك على شيء جديد أو شيء قديم كنت غافلا عنه، لا بد أن يستجد في حياتك حدث غير معتاد !!
إن الاعتياد على نمط واحد من العيش يستدعي في العادة نمطا واحدا من السلوك البشري.

هذا واحد من مقاصد الدين وأهداف أقدار الله وبلاءاته ربما، أقول ربما لأننا بشر لا نعلم الغيب ولا ندعي معرفتنا به ولا نقول على الله ما ليس لنا به علم، ولو كان للإنسان أن يعلم الغيب لكان الأولى أن يعرف الرسول صلى الله عليه وسلم ولما أمره الله في محكم كتابه (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) الأعراف (١٨٨)

ربما نزلت هذه الجائحة (كورونا) بقدرة الله كي توقظنا من سباتنا أو تحرك مياهنا الراكدة أو تستنفر أذهاننا للتفكير والتمحيص وتتبع الدلالة الحقيقية للأعمال ومقاصدها. لقد أيقظتنا الجائحة حين حبستنا في البيوت وهزت عروش الدول والممالك وأوقفت حراك الأرض كلها، أيقظتنا وبتنا للمرة الأولى في حياتنا بإزاء ما كنا نقرأه في القرآن ونؤمن به جزءا من الغيبيات بعض الذي كان غيبا صار اليوم ملموسا، لأننا بشر ضعفاء بنا حاجة دوما إلى تلمس الأشياء ورؤيتها بالعين. هكذا كان الإنسان وسيبقى محتاجا إلى معجزات بين الحين والآخر كي يترسخ عنده الإيمان ويثبت جنانه ويطمئن قلبه.
حتى الأنبياء مروا بمثل هذا، وذكرهم الله في كتابه كي يعطي تقييمه لمن خلقهم وهو

١ . أستاذ، الأدب العربي والنقد، جامعة سامراء، العراق



أدرى بهم وبقدراتهم الذهنية، فهذا نبي الله إبراهيم يسأل الله أن يريه كيف يحيي الموتى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) سورة البقرة (٢٦٠) ، وهذا نبي الله موسى يريد أن يرى الله: (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرَاكَ وَلَكِن نَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) سورة الأعراف (١٤٣)

إنهم أنبياء، ومن أولي العزم، كانوا يؤمنون بالله إيماناً لا تشوبه شائبة ولكنهم في لحظة ما احتاجوا إلى تثبيت إيمانهم والبحث عن طمأنينة مطلقة لقلوبهم كي تثبت ولا تتقلب، فما سبي القلب قلباً إلا لتقلبه.

جائحة كورونا بفيروسيها الذي لا تدركه الأبصار حقيقة، وهو آية من آيات الله، أراد الله أن يضرب بها مثلاً لقدرته غير المتناهية. لقد عدنا إليه نبتل ونتوسل كي يقينا شر هذه الجائحة لأننا في لحظة مادية كبرى استكنا وابتعدنا عن الخالق، وها نحن بإزاء أتفه مخلوقاته نقف عاجزين خائعين مشفقين، فكيف مع الله نفسه؟! سنقف أمامه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

هل عرفنا الله حقاً وهل عرفنا قدرته فعلاً؟

الآن عرف الجميع أن الإيمان بالغيب هو مناط الإيمان وأن الله سيردنا إليه كلما رأى منا نفوراً وازوراراً ، فلنعد إليه لأنه وحده القادر على حمايتنا ولنلذ به فلا رافع للبلاء إلا هو .